

الفصل الخامس

إجراءات تنظيم الفصل الدراسي في عصر التغيرات العالمية

- (أ) نظام المقاعد والجلوس.
- (ب) نظام إعداد قوائم التلاميذ وتوزيعهم على الفصول.
- (ج) طرق ملاحظة التلاميذ والاستفادة منها.
- (د) طرائق التدريس والوسائل والمتابعة والتقويم.
- (هـ) الثواب والعقاب التربوي.
- (و) مسئوليات المعلم وولى الأمر والتلميذ لفصل العولمة.

مقدمة

لقد عرضنا فى الفصول السابقة العولمة وتحدياتها والفصل فى هذا العصر ومتطلبات إدارته ويمكن القول إن ما تم عرضه يعتبر من الأشياء المعنوية التى تدخل ضمن الآمال والطموحات التى نرجو أن يكون المعلم على وعى تام بها، لتكون له منطلقاً نحو العمل الجاد المخلص لتحقيق كل ما تهدف إليه، وما نأمل فيه، ومهما حاولنا وضع أفكار ومبادئ وأسس لمزيد من التقدم والتطوير للعملية التربوية، يكون حلما نرجو له التحقيق، ويكون فى غاية الصعوبة عند التحقيق إذا لم يكن الفصل الدراسى كخلية أساسية على أعلى درجة من الصحة والسعادة حتى يمكن للبناء المدرسى أن يستقيم عوده وينمو النمو السليم المرغوب فيه.

ويمكن القول السديد أن الاهتمام بالفصل الدراسى نقطة تحول فى الفكر التربوى نحو مسايرة عصر العولمة، وما بعد العولمة، ولذلك لا مجال للجدال فى أهمية تطوير الفصل الدراسى واعتباره مركز دائرة المعرفة بكل المقاييس العملية والاجتماعية والاقتصادية.

وإذا كانت المتطلبات التربوية فى الفصلين السابقين منطلقاً للآمال كلها، ورغبة ورجاء فى العمل الجاد المثمر لمستقبل أفضل للعملية التربوية، حتى يصبح العمل أفضل وسيلة لتحقيق تلك الأمنى والآمال، حتى يتطابق حسن الظن مع حسن العمل فى هذا الفصل نستعرض مجموعة من الإجراءات التنفيذية لنظام الفصل الدراسى حتى يكون العمل التربوى أعمق كثيراً، وأسهل كثيراً، وأفضل كثيراً وبذلك نستطيع أن نؤكد للعالم كله أن مدارسنا وأبنائنا يعيشون عصرهم كاملاً، ويدخلون المستقبل بكل ثقة وجدارة ولاشك أن ذلك شيء مهم للغاية إذا ما استوعبنا أن ربع سكان مصر بالكامل يعيشون أطول ساعات عمرهم داخل هذه الفصول، تلك المدرسة التى انتمى إليها المجتمع على ثقافته وجعلها أعظم مسؤولياتها الإنسانية، فيصبح من الضرورى أن تكون الإجراءات فى غاية الدقة وهذا ما نتعرض له فى هذا الفصل آخر شئ.

أولا نظام المقاعد والجلوس

إذا ما تخيلنا أننا نعيش القرن التاسع عشر أو القرن العشرين فإن الحديث عن هذا المجال يعتبر خروج عن المألوف وضرباً من ضروب الخيال لأن المقاعد والجلوس في الفصل ليس ذو قيمة تربوية حتى يتناولها أى من التربويين أو غيرهم بالتوجيه والإرشاد، حيث يتبادر للذهن سريعا سؤال هام معناه ماذا يضير جلوس التلاميذ في الفصل على أى شكل من الأشكال، وما العائد التربوى من جلوسهم؟ ولماذا نضيع الكثير من الوقت في أشياء لا عائد منها ولا فائدة.

ولكن مع تطور الأشياء والأفكار أصبح للجلوس في كل مكان معنى كبير، ومغزى عظيم، وأصبحت الجلسة وكيفيةها تمثل محور اهتمام العديد من مجالات العلم وفروعه، فهي تحت منظار علم أهل الاجتماع باعتبار أن لكل مكانة اجتماعية مكان محدد للجلوس فيه، وكذلك أهل علم النفس والصحة النفسية واهتمامهم بالحالة النفسية أثناء الجلوس، وضرورة أن يكون المقعد مهيئاً لإعطاء الجالس الراحة الجسمية التي تعود على الفرد بأكبر قسط من الراحة النفسية، كما اهتم بالمقاعد والجلوس علماء الهندسة البشرية لوضع كل ما يمكنهم لإسعاد الإنسان في كل الظروف، في الصحة والمرض، وفي الحركة والسكون ليكون الإنسان دائماً في الوضع الجسمي الذي يستطيع من خلاله العطاء الفكري والمادى والمعنوى العالى القيمة، والدليل العملى على ذلك ما نشاهده الآن فى كل مجال من مجالات الحياة العملية، حيث أصبح للمقاعد خبراء ومستشارين، ومكاتب متخصصة في التصميم والاختيار، فهناك مقعد للمهندس، وهناك مقعد للطبيب، وهناك مقعد للمدير وهناك مقعد للسكرتير، وكذلك ما نراه ونلمسه فى هندسة المقاعد للسيارات بمختلف درجاتها وإمكاناتها وموديلاتها وقيمتها الاسمية والمادية، كل ذلك دليل عملى وعلمى على أهمية المقاعد والجلوس عليها،

وضرورة أن تكون في حسابات التربويين عند إعدادهم لها، حتى يستطيع التلاميذ الجلوس عليها فترة تواجدهم داخل الفصل الدراسي، وتلقيهم العلم والمعرفة بأسهل وأفضل وأعمق ما يمكن، ويسمح للجميع بالتكيف مع نموهم الجسمي المعهود في سن التعليم.

فإذا كان المقعد يستحوذ على اهتمام الكثير من العلماء والباحثين في مجالات علمية فهذا تأكيد واضح وصريح لنا نحن التربويون أن المقاعد في الفصل وكيفية الجلوس عليها أحد أهداف التربية، كما أنها إحدى وسائلها العامة في تحقيق ما نرجوه من نمو متكامل.

وإذا كانت أهمية الفصل الدراسي تتبع من أنه المكان الأول الذي يتلقى فيه التلاميذ أسس ومبادئ العلم والمعرفة على مدى خمس ساعات يومياً طوال مدة سنواتهم الدراسية وذلك يمثل زمناً كبيراً من عمر التلميذ الذي يقضيه في حياته المتبقية إذا ما استبعدنا ساعات النوم، وإذا ما تم مقارنة ذلك الزمن بما يتواجد فيه التلميذ في المنزل، فإن المؤشرات الحسابية تؤكد الزيادة الموجبة لـ زمن الفصل، وإذا تمت المقارنة بتسارع زمن العولمة فإن التلميذ يقضي معظم عالمه في الفصل كي يتقن العلم والمعرفة، وإذا كان ذلك صحيحاً حسابياً واجتماعياً واقتصادياً، أفليس من الهام جداً أن تكون جلسة التلاميذ على المقاعد أحد أهم الوسائل المعينة على تحقيق التكيف الإيجابي مع المعرفة والدراسة في الفصل خاصة إذا جاز لنا أن نقول إن للتعليم مشقة على التلاميذ؟ فلا يجوز أن نضع على عاتق التلاميذ مشقتين، وإذا كان من المفروض أن نعمل بكل جهد على إزالة المشقتين معاً، فإذا استعصى علينا ذلك لعظمة العلم والتعليم، فيكون من الضروري والواجب أن نزيل على التلاميذ مشقة الجلوس في الفصل حتى يتفرغوا لمقابلة مشقة المعرفة وينتصروا عليها، ويفوزوا بلذة العلم وقيمتها، وتلك فضيلة كبرى يجب أن تراعى عند الجلوس في الفصل الدراسي، والمقاعد في

الفصل الدراسي لها شكل ومادة ونظام درجت عليه منذ ما يقرب من قرنين من الزمان، دون تغيير أو تعديل أو تناسب مع التغيرات التي حدثت في مادة وشكل ولون المقاعد المدرسية في العالم المتقدم انطلاقاً من التطور التكنولوجي الذي أصاب كل شيء بالتجديد والتحديث السريع.

والغريب في الأمر أننا كل يوم ننادى بالتغيير الذي يتناسب مع التطورات العالمية، إلا أن المقاعد المدرسية لم يصبها ذلك مطلقاً، فهي المقاعد الخشبية بشكل واحد منذ نصف قرن تعلمنا عليها وكأنها فرضاً وإلزاماً على التلاميذ، أو كأنها قاعدة لا يمكن التحول عنها.

ولاشك أن النمطية في أي شيء تصيب الإنسان باليأس وفقدان الأمل وتجعله في حالة نفسية غير صحية أو سعيدة أو مرضية.

وإذا كنا نتحدث عن فصل دراسي في زمن العولمة، فإننا بتناوله من حيث المعنى التربوي والمادة التي تحقق ذلك المعنى، وإذا كان تلميذ اليوم الذي يشاهد التلفاز بكل قنواته الفضائية، وينطلق معها لآفاق التطور والتقدم الهائل في كل مجالات الحياة، فلا يمكن مطلقاً إقناعه نفسياً أن هذه المقاعد هي الشيء الذي لا يجوز تغييره أو تبديله، ويفقد معها حرية الاختيار وحرية التناسب مع الأشياء، وإذا كانت صناعات العالم المتقدمة أنهت العديد من المشاكل المزمنة في الحركة والجلوس، وغيرت من شكل المادة ومحتوياتها، فنحن نجد معظم مدارس العالم المتطور استبدلت المقاعد الخشبية بأخرى من مواد صناعية ذات ألوان جذابة، وأكثر راحة للجسم، وأكثر تناسباً لمراحل النمو المختلفة، وأصبحنا نشاهد المقاعد المدرسية في الفصول من مادة الفايبر جلاس والبلاستيك القوي مع الألمونيوم الجميلة اللون والشكل كي تجعل التلاميذ أكثر فرحة في فصولهم وأكثر راحة في جلوسهم.

وإذا كان التلاميذ يسمعون من آبائهم وأجدادهم أن تلك الفصول والمقاعد هي التي تعلموا فيها منذ سنين عديدة، فإن هؤلاء التلاميذ يشعرون بصراع قوى نحو الرغبة الملحة والقوية في التجديد والتحديث، فكيف تستمر المقاعد المدرسية على النمط الذي عاشه الآباء والأجداد، ونحن نحدثهم عن التطوير التكنولوجي، وعن عصر الفضائيات وتقارب الحضارات وانعدام الحواجز بين الثقافات فلا يمكن أن نقول كلاما جميلا والتلاميذ يعيشون عصر غير الذي نتحدث عنه، وبالتالي نحن في حاجة ماسة إلى إعادة النظر في المقاعد المدرسية من حيث المادة والشكل لتناسب العصر الحديث الذي نعيشه.

ولاشك أن شكوى المعلم وإدارة المدرسة من التدمير المتعمد للمقاعد يمثل حالة نفسية لدى غالبية التلاميذ موضوعها الانتقام من الرتبة والنمطية والتقليدية في ماديّات يجب أن تتغير بشكل يناسب منطلقات العصر، فالتلاميذ لا يدمرون مقاعدهم لعدم ولائهم كما يطلقون البعض أو يظنون، ولكنهم يدمرون زمانا لا يجوز أن يبقى مع زمنهم أو يتمشى معه، والحقيقة الغائبة فهم يرفضون قسوة الماضي رغبة من رغد العيش الذي يأملونه في مستقبلهم.

ومن هنا كان من الضروري إعادة النظر في مادة المقاعد وهندستها لتناسب الظروف الصحية والبيئية لدى التلاميذ في كل مكان، وبالتالي يستشعرون التطور التكنولوجي الذي نتحدث عنه، ويتعاطفون مع المقاعد كجزء من الحياة المتعولمة المتطورة، وبالتالي يعيشون حركة التقدم العالمي في كل المجالات، ويتفاعلون معها، ومن خلال تطوير المقاعد وتحديثها يؤمنون إيماناً قاطعاً بمصداقية قول المعلمين في ضرورة التفاعل مع عصر العولمة، واستخدام التكنولوجيا التي تيسر لهم طيب المقام، وإذا كانت هناك مقاييس اقتصادية أو اجتماعية لبقاء الأدوات التقليدية بالفصل، فمن الواجب التربوي تبصير التلاميذ بها، وإقناعهم بها حتى لا يتعاملون مع أدواتهم يرفضونها داخليا.

وإذا كانت المقاعد مادة وشكلا ولونا فالجلوس عليها معنى وفن، ولذلك من الهام جدا تربويا ومستقبليا أن تكون الجلسة فى الفصل وفق معيار واضح ومعترف به من قبل الهيئة التعليمية حتى لا يقع التلاميذ فى جليستهم فريسة لأهواء بعض المعلمين أو لأحقادهم، وبالتالي تكون الجلسة على المقاعد شرا ووبالا على العملية التعليمية.

وينقلب خير هذا المكان إلى شرور المستقبل، وتبدأ حركة الحقد الاجتماعى فى التكاثر فى قلوب التلاميذ الأبرياء والذى من المفروض أننا ننزع الحقد من قلوبهم ونغرس الحب والود فيهم.

وإذا كان التلاميذ اعتادوا الجلسة منذ نشأة المدارس فى صفوف متراسة بينها طريقة للسير فيها للدخول والخروج، ونادرا لحركة المعلم أثناء الشرح والإلقاء ولم يستطع التغير فى نمط الحياة وتسارع حركتها أن يهم بفاعلية فى تغيير نمط الجلسة التعليمية فى الفصول الدراسية وكأن التلاميذ يستقلون سيارة كبيرة فى اتجاه واحد، ولا يجوز لأحد منهم أن يتقدم أو يتأخر عن مقعده، كما أن النظر للخلف أو التحرك فى أى اتجاه كارثة ومخالفة يعاقب عليها القانون، وبذلك نجد التلاميذ كأنهم جماعة من البشر لاحول لهم ولا قوة، ينتظرون أمر الله فيهم للفاك وقد أكد علماء النفس والتربية بأن الفصل الدراسي ليس موقعا جغرافياً ثابت الحركة، فبالرغم من ثقافتنا عن دوران الأرض حول الشمس وحول نفسها لتغيير فصولها المناخية والإستمتاع بكل الأوقات والأزمنة وبالتالي لابد من السماح للتلاميذ بالحركة التربوية فى الفصل الدراسي مما يخفف الجمود الاجتماعى والنفسى الذى أصبح يخيم على الفصل الدراسي التقليدى.

ولذلك يجب على المعلم أن يحول الفصل الدراسي من جلسة جامدة غير سعيدة إلى ما هو أكثر خفة وأكثر تجوالاً حتى يشعر التلاميذ بنوع من الحرية المنضبطة التى تسهم فى الرغبة الجادة نحو المدرسة والتعليم.

ومن أهم المقترحات التربوية لإعادة هيكلة الجلوس في الفصل ما يلي:

(١) جلوس التلاميذ على شكل حرف (U):

وفي هذه الجلسة يشعر التلاميذ جميعاً أنهم تحت نظر وفكر المعلم، وتتلاشى الفروق الإجتماعية بين الصف الأول والأخير.

ومميزات تلك الجلسة مايلي:

- (أ) شعور التلاميذ بالتقارب الإجتماعي.
- (ب) إزالة الفروق الاقتصادية والإجتماعية بينهم.
- (ج) إزالة الإنطوائية والعزلة والبعد عن المعلم.
- (د) الحرية في اختيار الصديق والزميل على مدى العام الدراسي.
- (هـ) قدرة المعلم على متابعة جميع التلاميذ بنفس الدرجة.

(٢) الجلوس على شكل مائدة مستديرة:

وفي هذه الجلسة يمكن للتلاميذ تغيير جلستهم كل حصة وكل يوم، ويتحرك التلاميذ بحرية كاملة ودون خوف من رقابة المعلم أو رتابة الإنضباط الديكتاتوري.

ومميزات تلك الجلسة مايلي:

- (أ) سرعة التحرك في الفصل الدراسي.
- (ب) معرفة قدرات وإمكانات كل تلميذ.
- (ج) شعور الجميع بملكيّتهم للفصل الدراسي.
- (د) إذابة الفوارق النسبية بين التلاميذ.
- (هـ) تحقيق الإنساق الإجتماعي بين المعلم والتلاميذ.

(٣) الجلوس على شكل مربع أو مستطيل:

وفى هذه الجلسة يكون مقر المعلم وسط المربع أو المستطيل أو فى مركز دائرة المربع وبذلك يمكن أن يتحول إلى قائد ماهر ويمكنه التحول بسهولة ويسر فائقين، وفى هذه الحالة يكون المعلم والتلاميذ فى مربع واحد.

ومن أهم مميزات تلك الجلسة مايلى:

(أ) مشاهدة جميع التلاميذ عن قرب وبطريقة مباشرة.

(ب) ظهور إمكانات التلاميذ الفردية والمميزة لكل واحد منهم.

(ج) القدرة على السيطرة التربوية لأداء المهام التعليمية.

(د) زيادة درجة المودة والمحبة بين المعلم والتلاميذ.

(هـ) الشعور بالجوار والتقارب والبعد عن الإنعزالية والانعزالية.

وعلى المعلم أن يؤمن بأن نظام المقاعد والجلوس من الأنظمة الإجتماعية فى كل الأديان السماوية والتقاليد والأعراف الشعبية، ومن خلالها يمكن غرس مجموعة من المبادئ والأسس والقيم والتقاليد الإيجابية التى تحافظ على تماسك المجتمع وتدعيم موارثه الثقافية.

إن إعادة هيكلة نظام المقاعد والجلوس فى عصر العولمة أحد أهم المتطلبات التى يمكن من خلالها الإستفادة بإمكانيات كل طاقة وإمكانات فى جماعة المجتمع نحو البناء والتعمير، وإزالة معظم المشكلات الإجتماعية والنفسية التى تتعلق بالجلسة التقليدية التى قد يشعر فيها تلاميذ المقاعد الخلفية أنهم جماعة مهمشة لا فائدة منهم، وقد أجلسهم المعلم فى هذا المكان البعيد للتخلص منهم ومن مشكلاتهم وهذا ما لانرجوه مستقبلاً.

(ب) نظام إعداد قوائم التلاميذ وتوزيعهم على الفصول:

ما زال الاختلاف فى رأى قائم حول كيفية وأهمية إعداد قوائم التلاميذ وتوزيعهم على الفصول الدراسية لذات الفرقة الواحدة، وهذا الاختلاف لم يأتى من فراغ ولكنه من واقع يعيشه التلاميذ وأولياء الأمور والمعلمين، وكثيراً ماتحدثت مشكلات إجتماعية فى القرى والمدن على توزيع التلاميذ.

وقد ساد الإعتقاد الراسخ أن الفصول المتقدمة هى التى تجمع أفضل التلاميذ عقلاً ومكانة إجتماعية، فالصف أولى أول فى أى مرحلة تعليمية يعتقد فيه أنه أفضل كثيراً من الصف أولى خامس، وهذا إعتقاد خاطئ وغير الصحيح ولكنه موروث ثقافى لدى جماعة المجتمع.

إن إعداد قوائم التلاميذ على الفصل يمثل مشكلة تربوية ليست سهلة وتحتاج إلى فكر العلماء وخبرة المعلمين حتى يمكن الوصول إلى حلول علمية وعملية وتربوية، وإذا لم تعالج تلك المشكلة بصورة ترضى جميع أطراف العملية التعليمية فإننا سوف نكون قد تركنا واحدة من أهم المشكلات التى تؤرق الفكر الإجتماعى للمعلمين وأولياء الأمور.

فهى تحتاج إلى ثقافة حوار هادئ ومخلص وفعال للنجاة من طوفان الغرق التربوى الذى لا يجر خلفه إلا الدمار العقلى والإجتماعى الذى لا يتناسب مع تطلعائنا فى عصر العولمة.

وإذا استعرضنا أهم الطرق والإجراءات لهذه العملية فإننا نتناولها فيما يلى:-

أولا طريقة التوزيع بالأسماء

فى هذه الطريقة يتم تجميع كل التلاميذ المقبولين فى المدرسة للمرحلة التى تعمل فيها وفق كشوف عامة ثم يتم اختيار كل مجموعة من التلاميذ لفصل من فصول المدرسة وعند هذا التوزيع لا يراعى أى من الفروق الجنسية أو

الاجتماعية أو الخاصة، ولكن يتم التوزيع من خلال سكرتير المدرسة ومعاونة من تختاره إدارة المدرسة للمعاونة في عملية التوزيع النسبي لمساحة الفصل، وغالباً ما يكون التوزيع أبجدياً بحيث يأخذ من كل حروف عدد معين من الأسماء لتكون الحروف الأبجدية كلها ممثلة في الفصل الواحد.

سلبيات هذه الطريقة

- ١ - لا يراعى فيها فروق الزمن فنجد أحد التلاميذ يكبر الآخر بمقدار عام إلا يوماً واحداً وبذلك يشعر الصغير بنوع من احتكار الكبير له والتقليل من شأنه.
- ٢ - لا تراعى فيها الظروف الصحية لبعض التلاميذ حيث لا ينظر من قام بهذا العمل للبطاقات الصحية.
- ٣ - لا يعتد بنسب الذكاء المتفاوتة بين التلاميذ ويسود اعتقاد خاطئ أنهم جميعاً متساوون في نسب الذكاء.
- ٤ - لا توضع في الاعتبار الميول والمهارات والقدرات الخاصة لمجموعة التلاميذ مما يشكل عبئاً ثقيلاً على المعلم والتلاميذ طوال فترة تواجدهم في الفصل الدراسي لعدم انسجامهم سوياً.

ثانياً طريقة التوزيع بالعمر الزمني

غالباً ما يتم توزيع التلاميذ على الفصول عن طريق العمر الزمني، وقد تحدث بتلقائية مباشرة خاصة في المرحلة الابتدائية، حيث تعد المدرسة كشفاً لقبول التلاميذ في بداية دخولهم المدرسة وفق الترتيب الزمني حتى يكتمل نصاب فصول المدرسة وبعد ذلك تغلق أبوابها أمام صغار السن حتى بداية العام، وتدير ميزانية بفصل جديد من الإدارة أو المديرية أو الوزارة لخدمة هؤلاء، ومن هنا يبقى صغار السن في فصل خاص بهم.

وبالرغم من التوزيع عن طريق العمر الزمني نلقى إقبالا كبيرا من المعلمين، والإدارة المدرسية لتوحيد الرؤية نحو معاملتهم في اختيار المناسب من المعلمين، كما تسهم في تحسين ظروف صغار السن بالمكان المناسب لهم، حتى لا يتعرضوا لضغوط وصدمات من هم أكبر منهم سنا.

وإذا أمعنا النظر في هذا التوزيع فسوف نجد الفروق العمرية لا تتجاوز عاما قمريا بين الأدنى والأقصى، وهذا العام لا يمكن اتخاذه محورا لتهديد بناء الكيان المعنوي للفصل الدراسي، كما أنه من الواجب مراعاة الفروق العمرية حتى لو صغرت لأنها تترجم إلى خبرات عند التلاميذ وبالتالي لابد من الاستفادة منها، وتوجيهها التوجيه التربوي السليم الذي لا يحرم صاحبها من خبرته وفهمه في تنميتها.

سلبات هذه الطريقة

- ١ - تركيز الخبرات المتقدمة في فصل واحد، وحرمان تلاميذ بقية الفصول من التفاعل معها والاستفادة بها.
- ٢ - تجميع صغار السن في فصل واحد يعرضهم للضغط والتهديد ممن يكبرونهم سنا.
- ٣ - اختلاف رغبات المعلمين وما ينشأ عنها نتيجة الرغبة في تفضيل فصل عن الآخر لسهولة التعامل معه.

ثالثا طريقة التوزيع عن طريق اختبارات الذكاء

استحدثت طريقة حديثة في توزيع التلاميذ على الفصول الدراسية باستخدام درجات الذكاء، وغالباً ما يتم ذلك في المدارس الإعدادية والثانوية، حيث يتم الاعتماد على مجموع الدرجات الحاصل عليها التلاميذ في نهاية كل مرحلة، لدخول هاتين المرحلتين ويعتبر البعض أن درجات التحصيل هي أحد المعايير

القياسية في تحديد نسبة الذكاء، وبذلك يتم تصنيف التلاميذ بمجموع درجاتهم في الفصول المختلفة، ولقد قامت بعض المدارس الثانوية بإعداد اختبار تفوق جديد لتحديد درجة الذكاء ومن خلاله يتم التوزيع على الفصول المختلفة، ويطلق المعتمدين على هذه الطريقة في التوزيع بأنها أفضل الطرق وأكثرها موضوعية وحيدة، كما أنهم يقارنون هذا التوزيع بما يتم في مكتب التنسيق للجامعات وأنه يعتمد أساساً على نسبة ومجموع الدرجات حيث إنها تمثل درجة الذكاء إلى حد كبير.

ومع الإيمان بأن هذه الطريقة تلغى المحسوبية والعلاقات الاجتماعية إلا أنها لا تخلو من العيوب التربوية التي نذكرها في النقد التالي:

نقد هذه الطريقة وسلباتها

- ١ - قد لا تكون درجات الامتحان درجات حقيقية لمستواه العلمي أو هي الفصيل في تحديد درجة ذكائه.
- ٢ - تجميع الأذكياء في فصول مخصصة لهم احتكار لكثير من التلاميذ في ذات المدرسة.
- ٣ - لا يراعى عند اختيار فصول المتفوقين ظروفهم الاجتماعية مما يسبب علاقات سلبية بين التلاميذ.
- ٤ - ظهور مشكلات كثيرة بين المعلمين لاختيار من يقوم بالتدريس في هذه الفصول والفصول الأخرى.

ومن خلال ما تقدم يمكن القول بأن توزيع التلاميذ في الفصول من الأمور التربوية الهامة والتي يجب أن تؤخذ في الاعتبار في زمن العقول الذكية وهو زمن العولمة، ولاشك أن توزيع التلاميذ على أي صورة من الصور السابقة له أثر بالغ على حركة النفس أو البقاء مع هذا المعلم بالذات وكل ما سبق يجمعه

الفصل الدراسي في المدرسة، ومن الهام تربويًا أن يكون التوزيع مبنياً على أسس وقواعد يتم الاتفاق عليها بين إدارة المدرسة ومجلس الآباء، حتى لا يحدث ما يعكر صفو التلاميذ وأسرهم، وبالتالي تكون القناعة التامة والثقة الكاملة لتواجد التلاميذ في أماكنهم ونبتعد عن كل الحساسيات الاجتماعية التي تثير حقد البعض على البعض الآخر، وأن يعرف التلاميذ أنهم وضعا في المكان المناسب لهم وأن باب الحراك من فصل إلى فصل يشعر التلاميذ بأن له من المميزات ما يجعلهم راغبين فيه، وأن ذلك الفصل ليس مغلقا على أحد، وهو مفتوح أمام كل مجتهد ومكافح.

ومن الواجب على إدارة المدرسة مراعاة ما يلي عند توزيع التلاميذ على فصولهم:

- ١ - عدم تمييز التلاميذ في التوزيع نتيجة لطبقاتهم الاجتماعية والاقتصادية.
- ٢ - عدم اعتبار السن هو الحكم والفيصل في التوزيع الثابت على الفصول حتى لا يفقد التلاميذ الاستفادة بخبرات بعضهم البعض ويضيف درجة عالية من التفاعل.
- ٣ - أن تجعل المدرسة توزيع التلاميذ على الفصول فرصة ذهبية لإزالة الفوارق الاجتماعية وإزالة الحقد الاجتماعي من صدور التلاميذ.
- ٤ - ترك فرصة واسعة للتلاميذ لاختيار مجموعات أصدقائهم من الفصول المختلفة نتيجة لدمج الفصول في أوقات مختلفة باعتبار أن الفصل الدراسي قابل للتحويل كمسرح أو قاعة مؤتمرات واجتماعات.

(ج) طرق ملاحظة التلاميذ والاستفادة منها

إذا كنا جميعا نؤمن بأننا نعيش عصر العولمة بكل ما فيه من تغيرات اقتصادية واجتماعية وسياسية وعلمية فمن ثم تكون المدرسة صاحبة السبق في

تقديم المخرجات المناسبة لذلك العصر، ولا يمكن للمدرسة أن تحقق ذلك دون أن تضع في اعتبارها أن بناء الأجيال مهمة ليست سهلة، وهى الطريق الوحيد لتحقيق أهداف الوطن فى المستقبل المنشود. ومن ثم يكون من الواجبات الأساسية للمدرسة وكل أعضائها أن يتحملوا مسئوليات كاملة وبدون نقصان، كما يصبح من الضرورى أن تكون مهنة التعليم مهنة سامية لا يقوم بها إلا كل من تم إعداده وتكوينه بصورة تناسب المسئولية الملقاة على عاتقه.

ونحن لم نعد فى حاجة إلى معلمين تقليديين يهتمون بالحفظ والاستظهار، فتلك فئة كان لها زمنها. أما الآن فنحن فى مسيس الحاجة إلى معلمين على درجة عالية من الخبرة التربوية، مع العمق العلمى حتى يتحولوا من ملقنين إلى موجهين ومرشدين ومن محفظين سلبيين إلى إيجابيين مع تلاميذهم، حتى يستطيعوا أن يتعرفوا على العباقرة والأذكياء، ويتمكنوا من التفاعل الإيجابى معهم للحفاظ عليهم كثروة قومية، يعتبر إهدارها ضربا من ضروب الإهمال القاتل للمجتمع.

إن مستقبل العالم الآن أصبح معلقا على كيفية التعليم ومحتواه، ولم يعد الكم هو السبيل لهذا المستقبل الذى نرجوه، وتحول العالم كله إلى عولمة المعرفة وهذا بعدا أساسيا فى العالم كله الآن، ولابد من ملاحظة التلاميذ لإكسابهم تلك السمات حتى يمكن أن يتفاعلوا مع حركة العالم المتعولم، ويأمنوا شروعه، ويدافعون عن مظلة الخير للإنسانية كلها، ولملاحظة إحدى الطرق الأساسية لتعديل سلوك الإنسان منذ بدء الخليقة. ومهما تقدمت الطرق التربوية وتطورت فلا يمكن بحال من الأحوال إلغاء تلك الطريقة أو الاستغناء عنها لأنها من أسهل الطرق وأكثرها فائدة.

وإذا كان الفصل الدراسى يمثل المجتمع البيئى بكل ما فيه من ملامح اجتماعية واقتصادية وعلمية، فإن المعلم عليه أن يلاحظ ذلك المجتمع فى مده

وجزره، حتى يكون قادراً على التفاعل الديناميكي مع حركات المد والجزر المستمرة وبذلك تمثل الملاحظة التربوية أحد ملامح إدارة الفصل العصرية، وهي ضرورة حيائية لمعرفة حركة النمو العامة والخاصة لأفراد المجتمع الفصلي، حتى يمكن من خلال ملاحظتهم تقديم وسائل زيادة النمو التي تناسب الجميع بقدر حاجتهم ووفق إمكاناتهم، والفصل الدراسي الذي يفقد قيمة الملاحظة التربوية يفقد الكثير من مقومات نموه الإيجابي لمستقبل متسارع، ويمكن القول بأن الملاحظة في الماضي والحاضر كانت أحد وسائل تقديم العطاء للعالم كله، وأن المعلم الذي لا يجيد الملاحظة يسهم في خسارة وطنه بالقدر الذي نفقد فيه كل مفكر وعالم كان يمكن أن يسهم في دفع مسيرة الحضارة الإنسانية إلى أعلى الدرجات.

ولملاحظة إحدى الوسائل التربوية الهامة لما لها من إيجابيات كبيرة، حيث تحدد حركة التلاميذ وتقدمهم، وتسهم في إثبات مجموعة من الحقائق العلمية الهامة والتي قد تكون أكثر موضوعية من الدرجات التي يضعها المعلم على ورقة الامتحان.

ولا يمكن لأي معلم في عصر العولمة أن ينكر أهمية الملاحظة وضرورتها التربوية لما ينتج عنها من إسهامات رفيعة المستوى في الكشف والتوجيه المباشر ولما يترتب عليها من ثواب سريع يكون التلاميذ في حاجة ماسة إليه، لدفعهم إلى مزيد من الجهد والعمل نحو الاستزادة من المعرفة واكتشاف غوامضها.

ومن أهم إسهامات الملاحظة في الفصل الدراسي ما يلي

١ - الكشف عن طبيعة التلاميذ الحقيقية من خلال ما يقومون به من أسئلة واستفسارات.

- ٢ - اكتشاف ميول التلاميذ واتجاهاتهم والتأكد من أن هذه الميول وتلك الاتجاهات ثابتة إلى حد كبير حتى يمكن من خلالها توجيه التلاميذ إلى ما يناسبهم من دراسة وما يناسبهم من أعمال في المستقبل.
- ٣ - القدرة على استخدام وسائل التوجيه التربوي المباشر والسريع لأى من السلبيات السلوكية أو العلمية التى قد يلاحظها المعلم عند بعض التلاميذ.
- ٤ - الإسهام بخبرته ومهارته فى استمرار الاستقرار الثقافى للمجتمع فى عقول وقلوب التلاميذ.
- ٥ - القدرة على تغيير إحدى الوسائل لهذه الوسائل وتلك الطرق إلى الطرائق الأخرى للتدريس من خلال ملاحظته المباشرة للتلاميذ ومعرفة حاجاتهم وميولهم لهذه الوسائل وتلك الطرق.
- ٦ - اكتشاف تقبل التلاميذ للموقف التعليمى من عدمه بملاحظته، ومعرفة مدى رغبتهم فى الاستمرار فى العمل.
- ٧ - القدرة على اكتشاف المواهب والتميز عند التلاميذ وتقديم الرعاية والتوجيه التربوى المناسب فى الوقت المناسب، وكذلك سرعة علاج حالات التأخر الدراسى التى قد يلاحظها المعلم عند بعض التلاميذ للمحافظة على إنتظام سير العملية التعليمية بصورة متوازنة ومتوازنة.
- ٨ - تحمل المسئولية التربوية الكاملة، حيث من المتطلبات الأساسية للمعلم عند إدارته لفصله ملاحظة التلاميذ فى نموهم غير العلمى مثل النمو الاجتماعى والنفسى لعلهم أن هذين النموين لا امتحان فيهما، وبالتالي فهما فى حاجة إلى قدرة المعلم على الملاحظة التربوية الواعية والمستمرة لكى يستمر النمو فى الاتجاه المطلوب دون خوف أو قلق.

ولاشك أن أهمية الملاحظة تنطلق من الثورات الفكرية لتحديث العملية التعليمية وتحولها من الاهتمام بالمادة والمقرر والامتحان إلى الاهتمام بالإنسان باعتبار أنه محور العملية التعليمية وهدفها، وكذلك دخول التربية عصر العولمة وهو عصر الإدارة اليقظة الواعية لكل شيء بدقة وعناية حتى لا يكون هناك مجالاً للتخلف، أو التدهور البنائي لقوى المجتمع الأساسية والمتمثلة في تلاميذ اليوم والذين هم كل المستقبل.

كما أن الفكر الفلسفي للملاحظات التربوية ليس كله جديد، فإننا إذا رجعنا لأى من المجالات المختلفة فسوف نجد أقساماً كاملة للملاحظات، وذلك القسم من المفروض أن يسجل فيه ما لم يكن له مقام فى مصفوفة العلاقات لهذا المجال، وبالتالي يتم فى هذا القسم كتابة أشياء غير واردة على الفكر الإدارى أو التنفيذى للإسهام بفاعلية فى زيادة وإثراء الموقف، ويقدم الجديد فيه ولمزيد من الإيجابية والتطوير وبالتالي إذا وضعنا الملاحظة التربوية اليوم فى مقام مناسب لها فهى ضرورة لمهام وفلسفة المدرسة الحديثة ولحاجة المجتمعات المتطورة والتى هى فى حاجة ماسة لكل صغيرة وكبيرة صالحة لدفع عجلة التنمية الاقتصادية والاجتماعية لمواجهة مشكلات الإنسان والمجتمع، بعد أن تعقدت ظروف الحياة وتعددت مصالح الجماعات داخل المجتمع الإنسانى الكبير المتنامى بسرعة فى عصر العولمة.

وأصبح من الضرورى أن تتعدد قدرات المعلم، ويعتمد كثيراً على ملاحظته التربوية العلمية فى توجيه التلاميذ، وحتى لا يكون جهداً منصباً على المادة العلمية فقط التى أمكن الحصول عليها من مواقع متعددة، وبطرق كثيرة، ولكن يبقى فى عصر العولمة أن يتحول المعلم من ماديته المحصورة فى المادة العلمية إلى معنويات العملية والتى تهتم بالتوجيه والإرشاد التربوى المناسب، حتى يكون فى مصر والعالم العربى ألف ألف زويل من خلال ملاحظة المعلم لتلاميذه فى

كل موقف تعليمي، يراقب المواهب ويدفعها لتأخذ طريقها الصحيح فى عالم العولمة.

ومن أهم طرق الملاحظة التربوية فى الفصل الدراسي مايلى:

أ- الملاحظة أثناء الإستماع

من الضروري والهام على المعلم أن يكون واعياً فى إدارته لفصله الدراسي، حيث إن التلاميذ يختلفون اختلافا كثيرا عند سماعهم للمادة التعليمية، وبذلك تكون استجاباتهم تابعه لقدراتهم العقلية، ومن ثم عليه أن يتخذ من الوسائل والأساليب التى تجعل من حديثه بداية جادة للكشف عن المواهب والقدرات المختلفة عند التلميذ، حتى يمكنه أن يحافظ على الصفوة واستمرارهم فى المسيرة التقدمية، وأن يأخذ بيدهم نحو السواء لتمكينهم من قدراتهم.

ب- الملاحظة أثناء الإجابة

غالبا ما يلاحظ المعلم عند طرحه لسؤال معين اختلافات كثيرة فن الاستجابة فمنهم من يسرع فى طلب الإجابة، ومنهم من لا يتفاعل تماما مع الموقف، وآخرون يعرفون ويرفضون المشاركة، إن ذلك كله يقع تحت نظر المعلم، ويمكن ملاحظته وبالتالي يستطيع المعلم أن يكشف ويشخص ويعالج بصورة إجرائية موضوعية.

ج- الملاحظة أثناء الحركة والجلوس

إن الحركة والجلوس جزء من الموقف التعليمي، وعلى المعلم أن يحدد قدرات ومهارات كل تلميذ بدقة أثناء حركته وجلوسه فى الفصل حتى يمكن أن يستفيد من الملاحظة فى تعميق الموقف التربوي، وتثبيت النظم الاجتماعية لجماعات المجتمع المختلفة.

د - الملاحظة أثناء الامتحان

المعلم يستطيع أن يقرر بملاحظته المباشرة العديد من الحقائق العلمية عن التلاميذ أثناء أدائهم للامتحان، وذلك من خلال ما يراه من هدوء وثقة وقدرة على التفكير وكلها أمور تربوية تحتاج إلى ملاحظة علمية واعية من المعلم.

هـ - طرائق التدريس والوسائل والمتابعة والتقويم في فصل عصر العولمة

إن النظرة السريعة العابرة للفصل الدراسي بصورته وشكله ومضمونه التقليدي يعطى انطباعا مباشرا بأن هذا الفصل يجمع جماعة من التلاميذ لهم كيان واحد متماسك نسبيا مستقر غالبا من خلال تفكير موحد، وبالتالي يمكن أن نتعامل معه بطريقة واحدة في التدريس لكل التلاميذ، ولكن السؤال العلمي الملح يتساءل وبشير، هل هؤلاء التلاميذ بعقلياتهم المختلفة وذكائهم المتفاوت يمكن التعامل معهم بهذه الطريقة في عصر العولمة؟ أم الأمر مختلف تماما ويحتاج إلى فكر جديد، وأسلوب جديد للتعامل مع هذه الجماعة الصغيرة العدد الكبيرة المضمون العقلي الثقافي، ولسنا بحاجة إلى عرض طرائق التدريس التقليدية، والتي مازالت تسيطر على أسلوب التعامل بين المعلم والتلاميذ بالرغم من كل التحذيرات لخطورة تلك الطريقة التقليدية، والعديد من التوجيهات بضرورة اتباع أساليب وطرائق تناسب الانفتاح الفكري على خريطة العالم الثقافية التي تشير بأسهم واضحة أن العالم لم يعد في معزل عن بعضه البعض، وتأكيد التقارب التام والالتحام الكامل في الكثير من التعاملات اليومية والسلوكية، وبالتالي لا يمكن لأى من المعلمين أن يفصله الدراسي بطريقة واحدة مؤكدا بها أنه هو المسيطر الأول على زمام الأمور، والقادر على تحديد اتجاهات المسيرة التعليمية لهؤلاء التلاميذ، وبحرمهم من حقهم في تمكينهم من الحوار الديمقراطي أو طلب التغيير لأمر لا يرغبون فيها.

ولاشك أن طريقة التدريس المتمثلة في الإلقاء التقليدي تمثل صورة قائمة لأسلوب الديكتاتورية الرجعية التي لا يمكن لأى شعب من شعوب العالم أن يستمر ويصمد تحت نيرانها، ويخضع لمتطلباتها خاصة أن العالم كله من حوله يدعو للثورة على الاستعباد، والتحرر من القوة والقهر خاصة أن من أهداف العولمة الظاهرة الدعوة إلى حرية الإنسانية فى الاختيار والانتقال والنقد البناء والتغيير الصادق.

وتعتبر طرائق التدريس أحد وسائل المعلم الهامة فى تحقيق المادة التعليمية والمنهج، وكذلك المرحلة التعليمية التى يوجد فيها التلاميذ، وليس هناك مفر من ضرورة القيام بالعملية التدريسية داخل الفصل الدراسي، ومن ثم يكون المعلم أمام مجموعة من الاتجاهات التدريسية ليحقق المتطلبات الأساسية من مهمته التربوية التى نعرضها فيما يلي:

١ - الاتجاه الأول

أن يقوم المعلم بإعداد الدرس وشرحه للتلاميذ فى الوقت المحدد له، وبذلك يتحمل المعلم المسؤولية كاملة بمفرده، ويصبح التلاميذ جزء من أجهزة الاستقبال التى تستفيد من التدريس المباشر للمعلم، وفى هذا المقام قد لا يعتمد المعلم على أى من الوسائل المعينة على الشرح والتوضيح لزيادة التبسيط والتوصيل والقدرة على تعميم الفائدة على أكبر قدر من التلاميذ باختلاف قدراتهم العقلية.

ونحن لسنا ضد مصادرة دور المعلم التعليمى والتربوى ولكن ضد مصادرة دور التلاميذ وجعلهم خزائن حفظ المعلومات التى يدخرها المعلم ليوم الامتحان وبعد انتهاء هذا اليوم تصبح الخزائن فارغة وخربة.

وبذلك يمكن القول أن هذا الاتجاه لا يمكن الاستغناء عنه تماما، ولا يمكن كذلك الإبقاء عليه تماما.

٢ - الاتجاه الثاني

أن يطلب المعلم من تلاميذه إعداد الدرس مسبقاً، ثم يعود للفصل لمناقشة هذا الدرس، ويقوم المعلم بالتفسير والتوجيه إذا لزم الأمر، ثم يقدم ملخصاً وافياً لتعميق الفهم والوعى فى الموضوع الذى يتم تناوله، وهذه الطريقة تكون أكثر فعالية، وأكثر فائدة للموقف التعليمي، بالرغم من عدم إستفادة التلاميذ الإستفادة الكاملة من المعلم، كما أن هذه الطريقة تحتاج إلى وعى وقدرة على الضبط والربط فى إدارة الفصل حتى لا تصبح الفائدة قاصرة على قلة من التلاميذ وتخسر الغالبية الجزء الأكبر من الفائدة.

وهذه الطريقة لها إيجابيات كثيرة وعليها سلبيات أيضاً لابد من مراعاتها تخرج بالمستوى الذى يحقق المشاركة الإيجابية لجميع التلاميذ وتحتم على المعلم المتابعة الدقيقة لكل تلميذ فى الفصل حتى يتأكد من صحة الأداء وجودة العطاء.

٣ - الاتجاه الثالث

وهو أن يجمع المعلم بين الاتجاهين السابقين ويحدث بينهما نوعاً من التوازن الدقيق، بحيث لا يحرم التلاميذ من شرحه وتوضيحه للمادة الدراسية المكلف بأدائها، وكذلك لا يحرم التلاميذ من إظهار كفاءتهم وقدراتهم من خلال إعدادهم للدروس مستقبلياً.

وبالرغم من أهمية هذا الاتجاه وضرورته فى عالم التغيرات السريعة حتى يستطيع المعلم أن يكون قائداً للموقف التعليمي، وأخرى يكون فيها موجهها وبالتالي فهو مستمعا وملاحظا لحركة التلاميذ وفعاليتهم، وعلى أى اتجاه يقوم المعلم بالتدريس من خلاله فعليه أن يعرف تماماً أنه أمام مجموعة مختلفة من القدرات الفعلية، وأن يستخدم من الطرائق والأساليب التى تجعل الموقف التعليمي أكثر إيجابية وأكثر نجاحاً وتحصيلاً وبذلك يجب على المعلم فى إدارته

للموقف التعليمي في فصل عصر العولمة أن يكون واعياً لكل مظاهر وسمات ذلك العصر، وأن يعيش المعلم عمقه حتى يتمكن من إنجاز مهمته بكل دقة وكل مهارة، وكذلك استخدام أفضل الطرق التدريسية بما يتفق مع ظروف المادة والمتعلم والموقف التعليمي.

وكما يقول بعض خبراء التربية أن أفضل طريقة للمعلم هي ألا يكون له طريقة ثابتة ومحددة، وبذلك يستطيع المعلم أن يتفاعل وفقاً للظروف الماثلة أمامه. ونستطيع في هذا المقام أن نؤكد أهمية استخدام كل الطرق والاتجاهات التي يتمكن المعلم من خلالها تقديم المادة العلمية كوجبة محببة إلى قلوب التلاميذ، يسهل تناولها ويتيسر هضمها والاستفادة من تحولها إلى مادة جديدة نقية تتدفق بين خلايا المخ فتحيل الظلمات إلى نور يملأ الأرض بهجة وسعادة للبشرية كلها.

لذلك من المتطلبات التربوية للطرائق والوسائل أن يقوم المعلم بما يلي:

- ١ - تحديد الأهداف العامة والخاصة بالمادة التعليمية التي يقوم بتدريسها وتنوعية التلاميذ بها حتى يكونوا على درجة عالية من الوعي والإدراك لاتخاذ المعلم لهذه أو تلك الطريقة في التدريس.
- ٢ - أن يحدد المعلم وسائل الاتصال المناسبة للموقف التعليمي حتى يساهم في زيادة العائد التربوي من التدريس والعمل على الاستفادة من الوقت والجهد المبذول من المعلم وبذلك يرتفع العائد ويقل الفاقد.
- ٣ - أن يكون المعلم على استعداد تام لاستخدام أحدث الطرق والأساليب التي تثير اهتمام التلاميذ، وتعمق فهمهم ووعيهم بما يتعلموه وتمكنهم من توظيف هذا التعلم في حياتهم العملية.

٤ - أن يكون قادرا على إثبات أهمية المادة التي يقوم بتدريسها، وأن جميع المواد لها قيمة نفعية سواء مباشرة أو غير مباشرة، حتى يقبل التلاميذ على التعليم بصدر منشرح وقلب مبتهج.

٥ - أن يثبت بالتجربة سلامة الطريقة التي يحقق بها الهدف حتى يجعل التلاميذ على ارتباط عقلي بما يقدمه لهم.

أما المتابعة والتقويم فهما أمران ملازمان للعملية التربوية، ومن خلالهما يتمكن المعلم من إدارته للفصل الدراسي بكل وعى وفهم عميقين، ويحقق بهما الكثير.

والمتابعة عملية مستمرة مع التعليم، ويعتبرها الكثير من علماء النفس أحد وسائل التشخيص الجيد والسليم للتلاميذ.

وكثيرا ما ينجح المعلمون في تحقيق أهدافهم التربوية بمتابعتهم الواعية لحركة تقدم التلاميذ أو تأخرهم، وبالتالي يكونوا أقدر على العلاج السريع المناسب وكما سبق أن أوضحنا أن الامتحانات الشهرية أو النصف سنوية أو غيرها لا يمكن الاعتماد عليها كأحد وسائل التقويم، وبالتالي تظهر المتابعة كأهم الوسائل التي يمكن أن يعتمد عليها المعلم في أداء رسالته التربوية وفق الشروط التالية:

١ - أن تتم المتابعة بصورة موضوعية وأن تحقق الهدف التربوي منها كوسيلة للتشخيص والعلاج اللازمين لتقدم التلاميذ.

٢ - أن يدرك المعلم أنه أمام مهمة تربوية ليست بالسهلة أو اليسيرة وأن يستخدمها بالصورة التربوية المناسبة.

٣ - أن يعتمد في المتابعة على خبرات الملاحظة التربوية السابق ذكرها، وأن يستثمرها بكل قوة لإصلاح مسيرة التربية والتعليم عند التلاميذ، والتقويم

كأحد الوسائل التربوية التي تستهدف دائما مزيدا من التطوير لحالة التعليم خاصة في زمن التغيرات العالمية حتى يمكن أن يلحق المعلم بهذا التركيب ويتفاعل معه، ولن يكون ذلك دون تقويما ونقدا موضوعيا لكل ما يقوم به محققا من خلال ذلك التقويم اللحاق بإيجابيات عصر العولمة، والقضاء بكل قوة على سلبياتها، حتى يتمكن المعلم في إدارته لفصله من الإسهام القوي للحفاظ على أجيال المستقبل من التلوث الثقافي كأحد مستهدفات سلبيات العولمة العالمية.

(هـ) الثواب والعقاب التربوي في عصر العولمة

إن الثواب والعقاب سنة الله في خلقه على مختلف الألوان والأشكال والأزمنة ومن هنا نقول إن الله حين فرض العقاب على الخلق كان عليهم رحيمًا فقال تعالى في سورة (الإسراء) «وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولًا» (١٥) صدق الله العظيم، فقد ربط العذاب كأحد نتائج العقاب بعد التبليغ من الرسول الذي يهتدي إلى صراط مستقيم مؤكدا الدعوة بالتى هي أحسن لأن الله حين خلق آدم ميزه دون سائر الكائنات بالعقل ليكون له الاختيار التام فى الطريق الذى يسلكه، حتى يكون مسئولاً مسئولية تامة عن أفعاله الاختيارية وأن يتحمل مسئولية ذلك الاختيار، فإن اختار الخير وسار فى طريقه فلا بد له من جزاء أو فى نتيجة اتباعه الهداية والنصح السليم، وقيمة استخدام العقل بنورانية سماوية، تحقق معها الخير له ولأمتة. أما إذا اختار الشر وسار فيه فلا بد أن يأخذ العقاب المناسب لما قام به لعدة أسباب هي:

- ١ - أنه أوقف العقل وأعماله الخيرة.
- ٢ - أنه لم يتبع المرسلين، ولم يسلك طريقهم.
- ٣ - أنه ضرب بالنصيحة والتوجيه السليم عرض الحائط.

٤ - أنه أضر بنفسه وبالناس ولم يقدم خيرا.

٥ - أنه أساء للخلافة التي وكلها له رب العالمين.

كل هذه الأسباب جعلت من الواجب أن يكون هناك عقابا قاسيا على الأعمال المضرة بحياة الناس وحاجاتهم صغرت تلك الحاجات أم كبرت لأن الله خلق الخلق وكلفه بأعمال ذات قدر معين، وأن هذه التكاليفات تناسب طبيعة كل إنسان، لأن الله سبحانه وتعالى يقول في كتابه العزيز في سورة (البقرة) ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ﴾ (٢٨٦) صدق الله العظيم، ومن هنا يكون التكليف الإلهي مساو للإمكانات التي أودعها الله في كل نفس، فلا يجوز التقصير مطلقا كما لا تجوز الزيادة مطلقا.

وأصبحت قضية العقاب في الأوساط التربوية من القضايا التي تثير جدلا كبيرا، انقسم القوم إلى فريقين أحدهما يعارض بشدة ويعتبر العقاب نوعا من الإيذاء النفسى قبل أن يكون غير ذلك وهذا لا يجوز شرعا ولا عقلا.

وفريق آخر يؤكد أهمية العقاب وضرورته درء للحفاظ على القيم والثوابت، وينطلقون من أن الله جعل العقاب البدنى بصورته الظاهرية ضرورة إنسانية لحماية الإنسان من ظلم الإنسان، حتى أنه أباح القتل للقاتل، وجعل في القصاص حياة جديدة وأمن وأمان لنفوس البشر بشرط أن يقيم الحد القاضى أو الحاكم المسئول حتى لا تصبح المجتمعات عشوائية همجية، تسيطر عليها لغة الحيوانات فى الغابة، والأسماك فى البحار.

وبالرغم من إيماننا بأهمية العقاب كوسيلة ردع للنفس الضعيفة، وضرورة تربوية لتقويم المعوج، وإعادة الأمور إلى نصابها القويم، هل تلميذ المدرسة فى كل مراحلها مستحق العقاب بكل صورته؟

وبكل قوة نجيب على ذلك أن العقاب شيء مؤلم للتلميذ الذى جاء طالبا للعلم، لأن الكثير من المعلمين حين يعاقبون تلاميذهم يخرجون عن المألوف، ويدمرون مع وسائل عقابهم التلاميذ ومشاعرهم، وينسون الفضل بينهم والرحمة التى تظلمهم والأكثر من ذلك ينسون أن الله حين فرض العقاب جعله مراحلا، وبدأه بالنصح والإرشاد كنوع من العودة إلى العقل والقلب السليم.

ثم تدرج فى وسائل العقاب حتى وصل إلى أصعبها وهو الضرب غير المبرح، أما بقية أنواع العقاب الكبرى فهى عقاب على الخروج عن حدود الله، وقد أمر الله بإقامة العقاب علنا وظاهرا للردع وإعادة الأمن.

ولا يمكن أن نقول إن العقاب البدنى مطلب تربوى فى الوقت الذى ننادى فيه بضرورة مراعاة مشاعر الإنسان والحفاظ على سلامته ولا يتحقق ذلك إلا من خلال رؤية تربوية إنسانية تقر أن التلاميذ فى تعليمهم يستخدمون شيئين معنويين هامين هما العقل والقلب، والعقل والقلب لا ينفتحان مطلقا بالضرب ولكن يسهل فتحهما بالطرق المعنوية فهما أسيران لتوجيه مناسب وكلمة طيبة وقدوة حسنة ولذلك نؤكد أن عصر العولمة كما يروج له أصحابه هو عصر الحريات بكل معناها، وإذا أخذنا ظاهر هذه الكلمات، وتلك المبادئ تؤكد أننا كأمة لها أديانها السماوية المنزلة من رب رحيم أولى بالتمسك بالحرية الإنسانية على أعلى معانيها، فقد أكد الله سبحانه وتعالى فى قوله فى سورة (البقرة) ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ﴾ (٢٥٦) وهذا دليل على أن الله أعطى للإنسان حرية الاختيار وأمر بها سائر الأنبياء والمرسلين حتى لا تكون هناك فتنة من الإكراه فى خلق مجتمع يخون أفراد بعضه بعضا، ويكذب أفراد على بعض، ويغدر أصحابه ببعض.

من هنا نؤكد على المتطلبات التربوية للثواب والعقاب في عصر العولمة فيما يلي:-

- ١ - الإيمان بأن للإنسان طبيعة إنسانية مزدوجة تحتاج كل منها إلى ثواب وعقاب محدد.
- ٢ - الوعي بتدرج العقاب على مراحل مختلفة حتى يكون قادرا على الحفاظ على قيمة الإنسان.
- ٣ - التوفيق الواعي بين الثواب والأعمال الجيدة والعقاب للأخطاء.
- ٤ - أن يعتمد المعلم كثيرا على وسائل غير بدنية لعقاب التلاميذ حتى لا يتعود التلاميذ على التبدل واللامبالاة.
- ٥ - التركيز على الثواب المبنى على الثقة في قيمة ذلك الثواب لإثارة حماس التلاميذ نحو التنافس الشريف، وتأكيدا لقيمة الإنسان المعنوية باعتبار أن المعنويات أعلى قدرا ودرجة في كل الأحوال، وعلى جميع المستويات.

مسئولية المعلم وولى الأمر والتلميذ لفصل العالم المتغير

إذا كانت العولمة أحد أهم مظاهر التغيرات فهي موجه حضارية جديدة على مسار النمو المتصاعد للإنسانية والبشرية، وتتسم تلك الحضارة بنسق جديد من العلاقات الاقتصادية والاجتماعية والثقافية والتقنية والأيكولوجية والقيمية، وقد انعكست هذه الحضارة من تقدم الآلة وتطورها حتى أصبحت القوة المسيطرة على كثير من المجالات، بل وحددت مسارات عمل الكثير من الأجهزة الدولية، وأثرت على نوع وكم وكيفية التنفيذ، وإذا كانت حضارة الموجة الثالثة مرتبطة بظهور فكر العولمة، فلاشك أن هناك ارتباط وثيق بين تقدم الآلة وتطور الفكر وأن كلاهما يأخذ من الآخر ويعطيه، والتبادل بينهما مستمر وشديد الصلة، ولا يمكن بأى حال من الأحوال الفصل بينهما.

وقد استطاعت العولمة أن تحدث تحولات كثيرة فى الإدارات الإنسانية كلها وخاصة الإدارة المدرسية، بما فيها إدارة الفصل ومن ثم لا يجوز مطلقاً أن ينفرد المعلم بمسئوليات إدارة الفصل وما يحويه من جماعة التلاميذ الذين يحملون معهم العديد من الثقافات الأصيلة والتي يجب أن نحافظ عليها ونحميها، وكذلك الثقافات الواردة الهزيلة التي يجب أن نقف ضدها بكل قوة حتى لا تؤثر على البناء النسقى للثقافة المصرية والعربية.

ومن هنا كان علينا أن نؤمن بالشراكة المتحدة لإدارة الفصل من أصحاب المصلحة الجادة فى إتمام العمليات العلمية والتربوية والاقتصادية والاجتماعية بالصورة التى تتفق وثقافة المجتمع الأساسية، ولاشك أن أولياء الأمور أصحاب مصلحة فعلية فى انجاح إدارة الفصل لصالح التلاميذ أبنائهم، والمعلم معلوم مقدماً أنه القائم على هذه المسؤولية من قبل المجتمع الذى أناب عنه المدرسة كمؤسسة اجتماعية له.

وانطلاقاً من المسؤولية التكاملية لكل من المعلم وولى الأمر والتلميذ نؤكد أن لكل منهم مسؤولية جزئية يستطيع من خلالها أن يتكامل مع المسؤولية الكلية لتحقيق فصل دراسى يتكيف مع عصر العولمة، ويتفاعل معه ويصبح جزء من ذلك العالم المتغير متمسكا بكل القيم والثوابت الأصيلة ونوضح فيما يلى أهم مسئوليات كل منهم.

١ - مسؤولية المعلم

- (أ) أن يكون قائدا ديمقراطيا على طول المسيرة التعليمية ولا يمكن مطلقاً أن تكون له مواقف ديكتاتورية للصالح العام.
- (ب) أن يحسن إدارة الموقف التعليمى بصورة تحقق الأهداف العامة مع الخاصة دون خلل أو نقصان.

(ج) أن يتحلى بالرؤية المستقبلية التي يمكن من خلالها فتح المجال أمام التلاميذ للعبور المنتصر إلى بر أمان المستقبل.

٢ - مسئولية ولى الأمر

(أ) أن يعرف أهمية وضرورة تواجده مع المعلم بصورة تحقق للتلميذ الصالح والمفيد دون ملل أو تقصير.

(ب) أن يحترم دوره ودور المعلم ولا يتدخل إلا بالقدر المسموح حتى يتم المحافظة على حسن سير العملية التعليمية.

(ج) أن يقدم ما يملك من أدوات تكنولوجية تسهم في زيادة التحصيل العلمى للتلاميذ دون إغراق أو تقثير.

٣ - مسئولية التلاميذ

(أ) أن يتقبلوا التعليم بروحه ومادته وأن يتفاعلوا مع المواقف التعليمية.

(ب) أن يستجيبوا لكل تغير بما يناسب مع الحفاظ على ما يجب أن يكون.

(ج) أن يتمسكوا بالآمال فى المستقبل والعمل على تحقيق تلك الآمال.